مركز شؤون المرأة - غزة
Women's Affairs Center - Gaza

فتاة من ذوات الإعاقة الحركية، تحاول التشبث بالحياة وسط حرب لا ترحم ...

> "نحن كأشخاص من ذوي/ات الإعاقة أصبحنا منسيين، لا أحد يسأل عنا، وحتى أقرب الناس يمارسون علينا نوعًا من العنصرية. أنا فتاة في التاسعة والعشرين من عمري، لم أطلب إلا عكاز يمسكني، ليس حياة كاملة، لكن الظلم أكبر مني".

قلب مثقل بأعباء الفقدان

في منزل متهالك على أطراف دير البلح وسط قطاع غزة، تجلس مها (29 عامًا)، فتاة من ذوات الإعاقة الحركية، تحاول التشبث بالحياة وسط حرب لا ترحم. فقد وُلدت بخلل في الحوض تسبب لها بشلل نصفي طولي، مما يجعلها تسير على أطراف أصابعها بصعوبة، وتحتاج إلى عكاز دائم لتتمكن من الحركة، ومع كل ذلك وجدت نفسها في قلب نزوحين قاسيين منذ اندلاع الحرب الأخيرة، تواجه وحدها، في خيمة مثقوبة بالوجع، التهميش، الفقد، والقهر.

قبل اندلاع الحرب في السابع من أكتوبر 2023، كانت مها تبني لنفسها حياة مختلفة، فهي حاصلة على بكالوريوس في إدارة وأتمتة المكاتب، وناشطة مجتمعية في مجال الإعاقة، تطوعت كسكرتيرة في إحدى المؤسسات التابعة لذوي الإعاقة بين عامي (2017 و2023). تقول مها: "كنت أعيش حياة جيدة قبل الحرب، أحضر تدريبات وورشات عمل، وأشارك في كل أفراح العائلة، لأثبت قوتي، لأثبت لنفسي وللآخرين أنني قادرة"، لكن الحرب جاءت لتسرق منها ما تبقى من أحلامها، فتضيف: "كان لي فرصة عمل، انحرمت منها بسبب الحرب، كل شيء انهدم، حتى أحلامي".

تعرض حي مها، الواقع بالقرب من مستشفى شهداء الأقصى في دير البلح، لاستهدافات متكررة وسط شدة القصف الإسرائيلي. وفي السابع من يناير 2024، طُلب منهم إخلاء المنطقة، فاضطرت مها وعائلتها للنزوح نحو منطقة المشاعلة جنوب دير البلح، حيث وجدت نفسها في خيمة مكتظة بأقاربها.

تروي مها معاناتها في النزوح قائلة: "كنت أعيش مع عائلة ممتدة في خيمة واحدة، عندما أحتاج إلى المرحاض، أنتظر حتى ينتهي الجميع، فلا توجد مراعاة لذوي/ات الإعاقة، كانت ساعات الانتظار تمر بلا كرامة، والنزوح لم يكن مجرد انتقال إلى مكان آخر، بل امتحانًا يوميًا لصمود الإنسان. فالناس يمشون فوقي وأنا نائمة، يدوسون على رجلي وبطني بلا أي احترام، شعرت أنني فقدت إنسانيتي".

تضاعف الألم بغياب أمها، السند الوحيد لها، فقد استشهدت والدتها في العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة عام 2014 إثر قصف مدفعي استهدف مستشفى شهداء الأقصى. تقول مها: "من يوم فقدت أمي، وأنا أعيش بجناح مكسور، لا أحد يعوضني عن حضنها".

بعد شهر من النزوح، عادت مها إلى منزلها القديم الذي أصيب بأضرار جسيمة خلال العدوان الإسرائيلي على غزة عام 2019. تقول مها: "بيتنا عندما تمطر، يتسرب الماء إلينا، السقف يغرق، كأن البيت نفسه يبكي علينا".

لكن الحياة داخل البيت لم تكن أهون من الخيمة، فهي تعيش مع عائلة كبيرة ومعقدة تتألف من (11) بنّتا و(7) أولاد، وأب تزوج من ثلاث نساء. وتضيف مها: "أبي وضع الزوجة الجديدة في غرفة أمي بعد استشهادها بأقل من شهر، هذا الوجع لا يوصف".

اضطرت العائلة في أغسطس 2024 للنزوح مرة أخرى، فقد اختارتهم الحرب مجددًا لتدوس على بقايا الاستقرار. تروي مها: "بقينا أسبوعين في منطقة المشاعلة مع جدتي المريضة، وفي خضم النزوح توفيت، ولم نتمكن حتى من تكريمها بجنازة تليق بها. صحيح أننا نزحنا مرتين، لكن النزوحين كانا أصعب من بعضهما، خاصة وأنا أتنقل بصعوبة، بلا عكاز، بلا سند، بلا حماية، كنت أشعر أنني عبء على الآخرين، ونظرات التهميش على وجوههم كانت تقتلني أكثر من إعاقتي".

لم تقتصر معاناة مها على النزوح فحسب، بل امتدت إلى حياتها اليومية داخل الأسرة والمجتمع، حيث كانت تتعرض للتنمر اللفظي والمضايقات من زوجة والدها وزوجات إخوتها الذكور، فكانوا يثقلون كاهلها بما يفوق قدرتها، وهي التي يكسرها الوجع والفقر.

وتضيف مها: "حتى بعد عودتي إلى البيت، لم يكن هناك مكان آمن، فأنا أعيش على المساعدات والتكيات، وكل يوم أقول لنفسي: لماذا أعيش في هذا الذل؟".

في عائلتها، تحوّل الفرح إلى وجع. كان من المقرر أن يتزوج شقيقها محمد في 7 أكتوبر 2023، وأختها في اليوم التالي، لكن الحرب اندلعت فجأة، وتحول العرس إلى صمت طويل. تقول مها: "تزوجوا بصمت، من دون عرس أو فرح أو زفة، حتى الضحكة صارت محرمة علينا".

تتابع مها: "نحن كأشخاص من ذوي/ات الإعاقة أصبحنا منسيين، لا أحد يسأل عنا، وحتى أقرب الناس يمارسون علينا نوعًا من العنصرية. أنا فتاة في التاسعة والعشرين من عمري، لم أطلب إلا عكاز يمسكني، ليس حياة كاملة، لكن الظلم أكبر مني".

اليوم، تعيش مها وسط بيت متصدع وخيمة مثقوبة بالوجع، جسدها يئن من الشلل النصفي، وقلبها مثقل بأعباء الفقدان، وأحلامها معلقة بين أنقاض الحرب. ورغم كل ذلك، تتمسك مها برسالة واضحة: "لا أريد الشفقة، أريد حقوقي، أريد أن أعيش إنسانة كاملة، لا مجرد رقم في لائحة النازحين".